من يملك القطب الجنوبي وقارته ؟

مكتشفات الروّاد تفضي الى مشكلة دولية

ظلّت القارة المتجمدة الجنوبية منبوذة من مجامع الدول ومجالسها النيابية حتى سنة ١٩٠١ حين رحل اليها الكابتن سُكْت الانكليزي رحلتهُ الأولى في السفينة «دسكفري» فأثارت مكتشفاتهُ فيها عناية الدول بها . وسار الروّاد في اثر سكت ، شكلتن وامندصن والسر دوغلس موسن وغيرهم . وعاد سكت نفسهُ مرتين مرة على السفينة « انديورنس » واخرى على السفينة « كوست » الى ان بلغ امندصن نقطة القطب ١٩١٠ ومات سكت في جوارها سنة ١٩١١ — ولكن كل هذه الرحلات كانت اعمالاً فردية، لم تشجعها الحكومات ولا ساعدتها بالمال ولا بالنفوذ . على ان الحكومات المختلفة — وخصوصاً الحكومة البريطانية — خرجت في السنوات الأخيرة من السكينة الى العمل . ففي سنة ١٩٠٨ اعلنت انها ضمت الى ممتلكاتها قطعة من القارة المتجمدة الجنوبية . ثم لبثت لا تحرك ساكناً في الموضوع حتى اقبلت سنة ١٩٢٣ فأعلنت انشاء مقاطعة رُسّ وعينت لجنة حكومية ابتاعت سفينة سكت وبعثت عليها بعثاً الى البحار الجنوبية للبحث في مسألة صيد الحيتان فيها . وتبعتها حكومة فرنسا سنة ١٩٢٦ فأعلنت ضمها « ارض ادلي » وسنة ١٩٢٧ دارت مفاوضات بين بريطانيا ونروج حول «جزيرة بوفه » ومن يملكها وسنة ١٩٢٨ اضطربت حكومة اميركا حين اقلعت بعثة برد الى الجنوب لأن الحكومة البريطانية ادعت ان الأرض التي ينوي الكومندر برد ان ينصب خيامهُ فيها ارض بريطانية

واجتمع المؤتمر الامبراطوري البريطاني سنة ١٩٢٦ بعد ما اعلنت فرنسا ضم «ارض ادلي» اليها فقرّر ان يعلن ضمّهُ قطعاً مختلفة من القارة الجنوبية الى الأمبراطورية البريطانية تكاد تشمل كل شواطئها فأحدث هذا القرار اضطراباً في عواصم اوربا وأميركا

وزادت المصاعب تعقيداً حينما حاول الصيادون النروجيون الذين يصطادون الحيتان في البحار الجنوبية التملص من دفع الاتاوة المفروضة عليهم من حكومة زيلندا الجديدة على كل برميل من زيت الحوت

فترى مما تقدم ان طمع الدول المختلفة بالقارة المتجمدة الجنوبية احدث كثيراً من الاحتكاك والغيرة بين حكوماتها تحوّلا اخيراً الى مشكل دولي يذهب ثلاثة بحوث علمية الى القارة المتجمدة الجنوبية هي بحوث برد ونكنز والسر دُغلس موسن

ويرى كلّ من هذه البحوث جادّون في الكشف عن كثير من مجاهل القارة المتجمدة الجنوبية مدعين ان البلدان التي يكشفون عنها تخص دولهم المختلفة بحق الكشف. فلا يبعد ان تكون كثرة البحوث العلمية وكثرة الصيادين الذين يقصدون الى هناك لصيد الحيتان باعثاً على عقد مؤتمر دولي للفصل في المسائل المعلقة المرتبطة بهذا الموضوع

اما الحكومات فلم تكشف عن البواعث التي تحملها على ضم القارة المتجمدة الجنوبية او قطع منها والمرجّح ان قرّاء الصحف يحجون لتهافتها على امتلاك ارض كلُّ ما يعلم عنها انها متجمدة

***

تبلغ مساحة القارة المتجمدة الجنوبية خمسة ملايين ميل مربّع ولكنها مفاوز جليدية بعيدة عن العمران . وللوصول اليها يلزم اجتياز مسافة ٥٠٠ ميل في بحر تطفو على وجهه قطع الجمد وتهبّ اشدُّ العواصف والأعاصير فتجعل السير فيه محفوفاً بالمصاعب والأخطار. اما السفر فيجب ان يكون في سفن بنيت خاصة لتحمل ضغط الجمد على جانبيها وعلاوة على ذلك يجب ان يكون في شهور الصيف القصيرة المدى لأن المسافر في ليل الشتاء الجنوبي الحالك البارد في بحر متجمد كالباحث عن حتفه بظلفه

وجوّ القارة بارد لا يطاق يكاد جوُّ المنطقة المتجمدة الشمالية يكون دافئاً ازاءه . والقارة نفسها مغطاة بطبقة من الجليد يختلف علوها من الف قدم الى الفي قدم . هذه قارة في قبضة الجليد لا تقع فيها على اثر للحياة نباتية كانت او حيوانية

فما هي البواعث التي تحمل الحكومات على ضم هذه الارض الى ممتلكاتها ؟

لقد كتب الكتاب مجلدات ضخمة عن « ثروة » القارة المتجمدة الجنوبية ، موازنين بينها وبين الاسكا وسبتسبرجن وغيرهما من البلاد التي تجاور المنطقة المتجمدة الشمالية وما وجد فيها من ضروب الثروة المعدنية والآلية . ولكن الفرق بين البلادين كبير وقد اوجزه المستر ومبهام مدير « المعهد القطبي » بقوله : في المنطقة القطبية الشمالية الى شمال درجة ٦٠ من خط العرض يعيش نحو مليون نسمة وعدد لا يحصى من حيوانات اليابسة . انك تجد في هذه البلدان طائفة من أغنى الحراج في العالم وقد نشأت فيها صناعات لا بأس بها تعتمد على التحريج والتعدين وصيد السمك . اما في البقعة التي تقابلها في المنطقة المتجمدة الجنوبية فانك لا تقع على انسان واحد يقطن تلك البلاد قطناً مستمرًّا ولا على حيوان من حيوانات

رواد القارة المجمدة الجنوبية

محلان اول من دار حول الارض وأبان ان اميركا الجنوبية غير متصلة بأرض القطب الجنوبي . وأثبت جيمس كوك ان استراليا وزيلندا الجديدة منفصلتان عنها . وكشف رس (كتب خطأ انه روبرت سكت) الرف الجليدي العظيم ووصل سكت (كتب خطأ انه جيمس رس) الى القطب الجنوبي فوجد ان امندسن سبقه اليه . اما شكلتون فمن الرواد الذين عنوا بالرياسة العلمية والفرمندر برد اول من اطار الى القطبين والسر هربرت ولكنز من الرواد الطيارين المعاصرين . والصورة الوسطى هي صورة السر دوغلس موسن

امام الصفحة ٦٥

اليابسة اكبر من حشرة . انك لا تجد فيها شجراً على الاطلاق وقليلاً من النباتات . والصناعة الوحدة هي صيد الحيتان ولا يمكن القيام بها الا في شهور الصيف القليلة كل سنة . فالاساس الذي تقوم عليه هذه الفروق الكبيرة هو الفرق في درجة الحرارة . والذين يذهبون الى ان في القارة المتجمدة الجنوبية ثروة عظيمة ويقابلونها بالاسكا وسبتسبرجن ينسون هذه الحقيقة . نعم ان الاسكا تقع عند خط من العرض يقابل الخط الذي تقع عنده اطراف القارة الجنوبية ولكن جوّ سبتسبرجن معتدل اذا قيس بجوّ البلاد الجنوبية التي ما زالت في قبضة عصر من الجليد اشد من عصر الجليد الذي سطا على اوربا واميركا في العصور الغابرة . وزد على ذلك ان الوصول الى الاسكا سهل اما الوصول الى القارة الجنوبية فتتعذر او هو شديد الصعوبة . وفي الاسكا انهار جارية ولكنك لا تجد في البلاد الجنوبية الا انهاراً من الجليد . وفي الاسكا حراج ولكنك لا تعثر على شجرة واحدة في الجنوب . وفي الاسكا مراع نضرة واراض زراعية تزرع فيها الحنطة وفيها قطعان كبيرة من الاياثل وغيرها من الحيوانات التي تصلح جلودها للفرو ولكنك لا تجد شيئاً من ذلك في الجنوب

واما سبتسبرجن فمستعمرة نروجية ومما يدل على اعتدال جوّها اذا قيس بجو البلاد المتجمدة الجنوبية وسهولة الوصول اليها اعلانات شركات السياحة فانك ترى فيها انها تعدّ اجمل بواخرها للرحلة اليها بجماهير السيّاح

***

ولكن البعض يقولون أن في الجنوب ميداناً متسعاً لصيد الحيتان التي تكثر في بحاره وقد كان النروجيون اكثر الاوربيين اقبالاً على هذه الصناعة . ومما لا ريب فيه ان الحيتان في البحار الجنوبية كثيرة . على اننا يجب ان نذكر أن ميادين اصطياد الحيتان في البحار ليست على اليابسة . والبحار خارج المناطق التابعة للبلدان المجاورة لها التي لا يزيد عرضها على ثلاثة أميال من الشاطىء حرة مباحة لكل الناس على السواء . ولذلك لا تستطيع الحكومات أن تمد سيطرتها على البحار لان القانون الدولي لا يؤيدها فيما تفعل

على أن للمسألة وجهاً آخر . ان زيلندا الجديدة هي اقرب البلدان المعمورة الى ميادين صيد الحيتان في الجنوب فالصيادون يستعملون موانيها للاقلاع منها للصيد والرجوع اليها بعد الانتهاء منه . لذلك تطلب حكومتها اتاوة منهم على ما يصطادون فيدفعون صاغرين متذمرين لانهم اذا رفضوا فقد تقفل موانيها في وجوههم فتضع امامهم عقبات كأداء

فما هو موقف القانون الدولي ازاء هذه المستملكات التي تدعيها انكلترا وفرنسا ونروج وغيرها من الدول ؟ لقد اشار العلامة هايز الثقة في القانون الدولي الى ذلك بقوله : يعترف

القانون الدولي بالاكتشاف كاداة من ادوات الامتلاك اذا تبعهُ الاحتلال . والاحتلال هو اعلان ضم الارض ضمًّا رسميًّا والنزول فيها بقصد سكناها. فرفع علم او قراءة تصريح في ارض مكتشفة لا يكفيان لضمها . ولكن الواقع ان برودة الجوّ في الجنوب تمنع اي احتلال دائم للبلاد . وكل الذين يذهبون اليها انما يذهبون لقضاء فصل او فصلين للارتياد

فنحن لا نفهم لماذا تتسابق الحكومات الى امتلاك بلدان القارة المتجمدة الجنوبية ولا اعلم باي حق تعلن ضمها اليها وهي لا تستطيع احتلالها على ما يقضي به القانون الدولي!

ومن الحوادث التي يشار اليها في هذا الصدد ان الكومندر برد الاميركي اختار مقرًّا لجماعته فكان في « ارض رُس » البريطانية من غير ان يستأذن في ذلك حكومة انكلترا فكان عملهُ هذا مناقضاً لكل عرفٍ دوليّ . اما الانكليز فردّوا على هذا العمل الجريء بدهاء ولطف تمتاز بهما مراسلاتهم الدبلوماتيكية اذ كتبوا الى الحكومة الاميركية بعدما اقلع برد من نيويورك رسالة ودية يقولون فيها « انهم على استعداد لان يمدُّوا الرائد الشجاع بكل ما يحتاج اليهِ من ضروب المساعدة والتأييد اذا اختار ان يجعل مقرّهُ في ارض رُس ». ولكن الرسالة لم تذكر من هم الناس الذين سيستقبلون الرائد برد وزملاءهُ في ارض رُس وعدونهُ بكل ما يحتاج اليهِ! والواقع ان مستقرّ جماعة برد ليس على اليابسة بل على الريف الجليدي العائم امام ارض رُس . فهل الجليد الطافي تابع للارض التي يجاورها ؟

وقد كانت رسالة الانكليز المشار اليها تأييداً لقرار المؤتمر الامبراطوري الذي عقد سنة ١٩٢٦ ولم تكن باعثة على رضى الحكومة الاميركية

اما برد في القارة المتجمدة الجنوبية يطير فوق ربوعها ويكتشف عن مجاهلها فحكومة الولايات المتحدة الاميركية لا تستطيع ان تبقى ملتزمة جانب الحياد . ولكن برد لا ينفرد بالاقامة هناك وقد اعدت الامبراطورية البريطانية بعثاً لريادة الاصقاع المتجمدة الجنوبية بزعامة السر دوغلس موسن استاذ الجيولوجيا بجامعة اديلد الاسترالية . وهو من اكثر الروّاد استعداداً لعلمٍ قوة وعلماً وخبرة وقد اعدت لهُ السفينة دسكفري واشتركت حكومة انكلترا واستراليا في جمع المال اللازم لهُ

هذه هي الحالة الآن : انكلترا تدعي انها تملك الجانب الاكبر من القارة المتجمدة الجنوبية . وفرنسا تدعي ملكية قطعة صغيرة منها . وصيادو نروج غير مطمئنين الى الاتاوة التي يلزمون بدفعها لحكومة زيلندا الجديدة وحكومة اميركا تنظر شزراً الى دعاوي اولئك وتذمُّر هؤلاء . والروّاد ماضون في عملهم لا يلوون الاّ على تحقيق اغراضهم العلمية — والقومية !